القول الفلسفي الرّواقي: من القسمة إلى النّسق

Stoicism's philosophical discourse : from division to system

د.مغربي زين العابدين

جامعة سيدي بلعباس–كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية

****

تاريخ الإرسال:2019/11/29 تاريخ القبول: 2019/12/02 تاريخ النشر: 30 /2020/01

الملخص:

بعض النصوص القديمة التي شكّلت مصادر معرفتنا بالقسمة الثلاثية للفلسفة الرواقية جاءت محيرةً للغاية، من بين تلك النصوص، ما نقله إلينا "ديوجين اللايرسي "، فضلاً عن كتابات " بلوتارخوس". بيد أنَّه يمكن تبديد تلك الحيرة بإعادة قراءة وفهم تلك النصوص بالرجوع إلى بعض الكلمات التقنية وحتى المفاهيم الأساسية للفلسفة الرواقية، منها: القسمة والمنطق، ناهيك عن تصريحات بعض المختصِّين بالفلسفة ذاتها، منهم: "بيار هادو" و"جون بابتيست قوغينا". انطلاقاً من هذا، تأتي الغاية من المقال في تبيان أصالة القسمة الثلاثية لأصحاب الرواق واستتباعاتها على القول الفلسفي الرواقي.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة الرواقية؛ القول الفلسفي، القسمة الثلاثية؛ النسق.

Abstract :

Some doxographic texts contain a number of points about the threefold division of stoic philosophy which are extremely puzzling, such as Diogenes' texts and Plutarch's writings. These ancient sources of stoic's philosophy can be more understandable by reference to a few of the technical terms and elementary concepts of Stoic philosophy –such as division and logic-, and some declarations of a few specialists in stoic philosophy -such as Pierre Hadot and Jean-Baptiste Gourinat- So, the purpose of the present article is to prove the originality of the tripartite division of stoic philosophy and its results on the philosophical discourse of Stoicism.

Key-words : Stoic philosophy ; philosophical discourse ; threefold division ; system.

*أستاذ محاضر قسم أ، logiquezino@yahoo.fr ،/ عضو في مختبر الأبعاد القيمية للتحوّلات الفكرية والسياسية بالجزائر- جامعة وهران2

مقدمة:

أفرزت مصادرُ معرفتنا بالرّواقيَّة، إشكالات جمَّة؛ تخصُّ، تلك الشَّذرات الأصليَّة المُتبقيَّة للرّواقيّين الأوائل؛ فإلى جانبِ قِلَّتِها وانعدامها في أحيان كثيرة، فهي تفتقرُ إلى النظرِ في نصُوصِها غير المتجانسة "*Textes hétérogènes*" وتتطلب في ذات الوقت عَرضهَا بإحكام ومقابلة بعضها ببعض للذِين نقلُوها لنَا، سواء كانوا فلاسفة من: رواقيّين مُتأخرين، أو من مُعتنقِي مدارس أخرى، أو من بعض آباء الكنيسة المسيحيَّة –مثل "**كليمانتوس *Clément d'Alexandrie***" و"**لكتانس *Lactance***" وعلى الخصوصِ "**أوريجانس الإسكندر اني *Origène d'Alexandrie***"[1]، أو كانوا مِمنْ اتَّبعُوا منهجيَّة "وصفِ الآراء *Doxographie*" -التي سيطرت على تأريخ الفكر القديم المتأخر، ومن بين هؤلاء: "**بلوتارخوس *Plutarque***" -أحد خصوم الرّواقيَّة- في مُصنَّفه "آراء الفلاسفة *Opinons des philosophes*"، وكذا في "ضد الرّواقيّين *Contre les Stoïciens*"، و"تناقضات الرّواقيّين *Des Contradictions des Stoïciens*"، أو كانوا من مُؤرخي الفلسفة، وأبرزهم: "**ديوجين اللايرسي *Diogène Laërce***"[2].

هذا فضلاً، على التَّعاملِ الخاصِ والحذر مع النصُوص الناقدة للرّواقيَّة قديمةً كانت أو حديثةً والتي تذهبُ بعضُها إلى التَّقليل من أهميَّة الفلسفة الرّواقيَّة، والبعض الآخر يَعمَدُ إلى طمسِ حقيقتِها. فمن جهةِ النصُوصِ القديمةِ، تأتِي مُصنَّفات "**شيشرون *Cicéron***" من أهم المصادر للتَّعريف بالرّواقيَّة لاسيما في كتابه "حدود الخيرات والشرور *Sur la fin des bonnes et mauvaises choses*"، وكتاب "الأكاديميات *Les Académiques*" الذي دَحضَ فيه نظريَّة المعرفة الرّواقيَّة، كمَا جاءت شهادات خصُوم الرّواقيّين، من أمثال: المُتشكِّك "**سكيتوس أمبريقوس**" في أواخر القرن الثاني للميلاد، و"**جالينوس *Galien***" الذي كَتَبَ مُتهجِّمًا على "**كريسيب *Chrysippe***"، كلُّ تلك الشَّهادات جاءت تارةً ناقصة مبتُورة، وتارةً أخرى

---

[1] **أمين، عثمان**، الفلسفة الرّواقية، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1971، ص 36.

[2] **Jean-Baptiste Gourinat** & **Jonathan Barnes** Lire les Stoïciens, Introduction, Presse Universitaire de France, Paris, 2009, pp. 17, 18, 19.

مُسرِفة في القدح والنقد، نائية عن القصد[1]. أمَّا من جهة النصُوص الحديثة، نجدُ "**إدوارد تسلر** ***Edouard Zeller***" مُعتبراً الفلسفة الرّواقيَّة تحصيل حاصل لفلسفتي "**أفلاطون**" و"**أرسطو**"، وتابعة لهُمَا في المنزلة والأهميَّة[2].

هذه الاعتراضات على الفلسفة الرواقية دفعتنا إلى إعادة قراءة تلك النصوص، مستأنسين في ذات الوقت ببعض المواقف الفلسفية المعاصرة. ومن بين ما استشكل عندنا من مسائل، تلك المسألة المتعلقة بالقسمة الثلاثية للقول الفلسفي الرواقي، فدفعتنا تلك المسألة إلى التساؤل، تارةً، عن مرجعية التقسيم الثلاثي للقول الفلسفي الرواقي، وتارةً أخرى، عن طبيعة تلك القسمة؛ هل هي مجرد تجزئة بسيطة للقول الفلسفي أم مثّلت نظاماً محكماً بين أقسام المقسم لتشكل نسقاً فلسفيًّا متميّزاً؟

1. إشكالية القسمة في نصوص رواة الآراء:

بالرجُوع إلى نصوص "رُواة الآراء *Les doxographes*" في تقسيم الفلسفة لدَى الرّواقية، نجدهُم يتَّفقُون على تجزئتها إلى ثلاثة أقسام، وهي: "الفيزياء*؛ والأخلاق**؛ والمنطق"، ويُرجعون هذا التَّقسيم الثلاثي إلى مُؤسِّس مدرسة الرّواق[3]. فقد نَقلَ "**ديوجين اللايرسي**" أنَّ "**زينون الكتيومي**" كان الأوَّلُ من اقترحَ هذا التَّقسيم الثلاثي في مُؤلفه "عن العقل *Sur la raison*"، واقتفَى أثره بعد ذلك "**كريسيب الصُولي**" في الباب الأوَّل من كتابهِ "*عن العقل Sur la raison*"، وكذا في الباب الأوَّل من مُؤلَّف "الطبيعيات

---

[1] **أمين، عثمان**، الفلسفة الرّواقية، ص ص 34، 37.

[2] **المرجع نفسه**، ص 41.

* نشيرُ أنَّ أدبيات الفلسفة اليونانية كانت ترادفُ بين الطبيعة والفيزياء؛ فما هو طبيعي هو فيزيائي وما هو فيزيائي هو طبيعي، وبقي الترادف بين المباحث الطبيعية والمباحث الفيزيائية ردحاً من الزمن. لذا، لا بأس أن نوظِّف اللفظين بالمعنى نفسه كما أراده فلاسفة الإغريق.

** بعد مُعاينةِ نصوص الرّواقيّين المتحدثة عن الأخلاق، وجدنا تلك النصوص المُترجمة تستعمل تارةً، لفظ "Moral"، وتارة أخرى توظف لفظ "Ethique"، وليس هذا من التناقض في شيء، لأنَّ الرّواقيّين لاسيما المتأخرين لا يفرّقون بين Moral & Ethique، ويعتبرونها مبحثاً واحداً. ولهذا، أثناء نقلنا لهذين المصطلحين بالعربية، سنلتزم باستعمال لفظ "الأخلاق Moral" عوض لفظ "إتيقا Ethique" احتراماً للمنَاخ الاستيمي الذي ظهر فيه هذا المصطلح.

[3] Voir :

- **Diogène**, **Laërce**, Vies et doctrines des Stoïciens, Traduction: Richard Goulet, Librairie Générale Française, 2006, p, 39.

- **Long** & **Sedley,** Les philosophes hellénistiques, II Les stoïciens, Traduction par : Jacques Brunshwig & Pierre Pellegrin, GF Flammarion, Paris, 2001, pp. 7, 10.

Physiques"، ثمَّ "**أبولودور** ***Apollodore de Séleucie***" و"**إسيلوس** ***Ephélus***" في الباب الأوَّل من مُؤلَّفِهما "مقدمات في المذاهب *Introductions aux doctrines*"، و"**أودروموس** ***Eudrome***" في كتابه "مبادئ الأخلاق *Éléments d'éthique*"، وأخيراً، تبنَى هذا التَّقسيم كلّ من " ***ديوجينس البابلي***" و"***بوزيدونيوس***"، وقد أطلقَ "**أبولودور**" على هذه الأجزاء اسم "الأينات *Lieux*"، في حِين سمَّاها "**كريسيب**" و"**أودروموس**" بِـ"الأنواع *Espèces*"، وأطلق آخرون عليها اسم " الأجناس *Genres*"[1].

يتبيَّنُ من نصّ "**ديوجين اللايرسي**"، أنَّ الرِّواقيِّين لاسيمَا الأوائل توحَّدت رُؤيتهم نسبيًّا على التَّقسيم الثلاثي للفلسفة، غيرَ أنَّ "**كِلِيَانط** ***Cléanthe***" شَذَّ عن هذا التَّقسيم الثلاثي، حِينَ قسَّمها إلى ستة أجزاء، وهي: "الجدل *Dialectique*"، "الخطابة *La rhétorique*"، "الأخلاق *La morale*"، "السِّيَّاسة *La politique*"، "الطبيعة *La physique*"، "*الإلهيات La théologie*"، وذهب في المقابل "**زينون الطرسوسي** ***Zénon de Tarse***" إلى اعتبار التَّقسيم لا يخصُّ القول الفلسفي، بل الفلسفة في حدِّ ذاتها[2]، أي أنَّ التَّقسيم أفضَى إلى أجزاء متباينة للفلسفة لا تكمِّل بعضها البعض، ولا ترقى إلى وَحدةٍ نسقيَّةٍ.

ماذا يُفهَمُ من قول "**زينون الطرسوسي** ***Zénon de Tarse***"؟

الظاهر أنَّ هناك فرقٌ بَينَ القولِ بِـ:

- الفلسفةِ الرِّواقيَّةِ *La philosophie stoïcienne*،
- والقولِ الفلسفيِّ الرِّواقيِّ *Le discours philosophique stoïcien*.

غيرَ أنَّ البحثَ في المضمُونين السَّابقين، يستوجبُ علينا أوَّلاً، البحث في مرجعية قسمة الفلسفة إلى أجزاء وما ستفضي إليه من نتائج، خاصةً وأنَّ بعض الدَّارسين لتاريخ الفلسفة اليونانية، يختزلون قسمة الفلسفة الرِّواقية، في:

– أفكار الفلاسفة الطبيعيِّين الأيونيِّين -مِنهم "**هرقليطس**"- لِعنايتهم بالكون واهتمامهم بسؤال: "أصل الموجودات"؛

[1] **Voir : Diogène**, **Laërce**, Vies et doctrines des Stoïciens, 39.

[2] **Ibid.**, 41.

– مَا اتَّجهَ إليه "**السوفسطائيون *Les sophistes***" من تقنِينٍ منطقيٍّ للمعرفة الإنسانية والبحث في صحتِها، وشاركهم في ذلك "**سقراط *Socrate***"، غيرَ أنَّه جَدَّ في سؤال الأخلاق[1] وعَنَى بتسوية السلوك نحوَ الخير والفضيلة.

بيدَ أنَّنا نلاحظ، أبحاث فلاسفة ما قبل سقراط *Les Philosophes présocratiques* التي تبدُو، أنَّها مثَّلَت حُضُوراً للقسمة الثلاثية لدَى فلاسفة اليونان، قد جاءت أبحاثُهم مُتفرقةً مُنفصلةً حسبَ انشغالات كلّ مدرسة أو فيلسوف، وغير مُجتمعة في كليتِها لتُعبرَ عن مفهوم القسمة. وهذا في الحقيقة، لا يَصبُّ في المعنَى والمقصدِ من القسمة. لأنَّ القسمة المنطقيَّة إلى كونِها تستوجبُ أقساماً تُدرج تحتَهَا، فهي تفرض أيضاً تلاحُماً منطقيًّا بين الأقسامِ والمقسم، وهي بهذا الوصف، تمثِّلُ مِثلمَا حدَّهَا "**فرانسوا شينيك *François Chenique***": «خطاباً يُوزِّع الشَّيء إلى أجزائه»[2]، هذا التَّوزيع يقُودنا إلى مَا عبَّرَ عنهُ "**مهدي فضل الله**" بقوله: «يجوز **الحمل** المتبادل بين الأقسام والمقسم. فالكلمة إما اسم أو فعل أو حرف، والعكس صحيح، بمعنى أن الاسم كلمة، وكذلك الفعل والحرف»[3].

إذاً، بهذا التَّحديدِ والمعاني المُستنتجة منه، أينَ يُمكنُ مُعاينة القسمة الثلاثية للفلسفة؟

لم يبقَ من أنساقٍ فلسفيَّةٍ بعد "**سقراط**"، سوى: "**الأفلاطونيَّة**" و"**الأرسطيَّة**" وبعدهَا "**المدارس الهللينستيَّة *Les écoles helléniстiques***"، فهل يمكن اعتماد هذه الفلسفات على أنَّها مثَّلَت حقِيقةَ القسمة، وعلى أنَّها في الوقت ذاته، أجَابَت عن إشكالية مرجعيَّة "القسمة الثلاثية للفلسفة *La division tripartite de la philosophie"*؟ وأين هو حضور الفلسفة الرِّواقيَّة من القسمةِ؟

2. طبيعة القسمة في نظر"بيار هادو":

[1] **نقلاً: أمين، عثمان**، الفلسفة الرواقية، 1971، ص 85.

[2] **Chenique, François**, Elément de logique classique, L'art de penser, de juger et de raisonner, Tome 1, Dunod, Paris, France, 1975, p. 119.

[3] **فضل الله، مهدي**، مدخل إلى علم المنطق (المنطق التقليدي)، دار الطليعة، بيروت، ط4، 1990، ص 84.

اعتماداً على مقالٍ كتبهُ "**بيير هادو *Pierre Hadot***"*، أحصَى فيهِ ثلاثة أنماط رئيسة في تاريخ الفلسفة اليونانية، كلّها ترُومُ إلى تقديم تصنيفات تامة للفلسفة، لكنَّها اختلفت من حيث بنية النمط وتركيبته الدَّاخلية: فأمَّا **النَّمط التَّصنيفي الأوَّل**، يتميَّزُ بسعيهِ إلى معرفةِ خصوصيَّة الموضوع وكذا المناهج الخاصة بكل فرعٍ معرفيّ، ولأجل ذلك، فهو يستخدم منهج القسمة *La méthode de division*، فيرتّبُ أقسامَهَا وفقَ "هرمٍ مفاهيميٍّ *Une pyramide conceptuelle*"[1]. *وأمَّا* **النَّمط التَّصنيفي الثَّاني**، فهو أقل اهتماماً بخصوصيَّة الموضوع مقارنة بتركيزه الشَّديد لإيجاد التَّرابط المتِين بينَ أجزاء القسمة؛ فهو يسعى إذاً، لضبطِ التَّوافقات *Saisir les correspondances* أو المسالك *Les passages* التي تُوصِلُ أجزاء الفلسفة بعضها ببعض، وهذا لغرضِ إظهارِ الوَحدَة النَّسقيَّة للفلسفة*Pour montrer l'unité systématique de la philosophie*، فالبنيَّة المفاهيميَّة الكامنة وراء هذا الوصف لا يُمثِّلها الشَّكل الهرمي، وإنَّما تُناسبها صورة: "حَلقة *Cercle*" أو كائن حي *Organisme vivant*"[2]. وأمَّا **النَّمط التَّصنيفي الأخير**، فهو لا يزيح التَّصنِيفين السَّابقين كما يرى "**بيير هادو**"، بل يُثبِّتهما، ويقحمُ في الوقت نفسهِ: عامل الزَّمن، وتَّعاقب الخطوات التي يجب اتِّخاذها، والبعد البيداغوجي، فالتَّصنيف هُنَا، سيتمُّ تفعيله بالموازاة مع أطوار المنظومة التَّربويَّة، ومع درجات التَّطور الرَّوحاني، فهو يهدفُ إلى إنشاء برنامج دراسي، ونظام لقراءة النصوص[3].

---

* "بيير هادو P. Hadot "، فيلسوف فرنسي من مواليد 21 فبراير 1922 وتوفي في 25 أبريل 2010. كان أستاذاً بـ "كوليج دوفرانس Collège de France". مُتخصص في الفلسفة اليونانية والرُّومانية، يدافع عن الفلسفة بوصفها فنًا في العيش ونمطًا في الحياة. اهتمَّ بالترجمة والتَّأليف، من بين أعماله:

- ما هي الفلسفة القديمة؟ (Qu'est-ce que la philosophie antique ?)؛
- التدريبات الرَّوحانية والفلسفة القديمة (Exercices spirituels et philosophie antique).

انظر: http://fr.wikipedia.org/wiki/Pierre_Hadot

[1] **Hadot**, **Pierre**, Les divisions des parties de la philosophie dans l'antiquité, revue Museum Helveticum, Bibliothèque électronique suisse, vol 36, 1979, Fasc.4, p. 201.

[2] **Ibid.**, p. 201.

[3] **Ibid.**, p. 201.

وللبحثِ في إشكاليَّة مرجعيَّة التَّقسيم، نعودُ إلى التَّصنيفات الثلاثة للقسمة، ونخصُّ بالدِّراسة التَّصنيف الأوَّل والثَّاني لأهميَّتهما في الإجابة عن مرجعيَّة القسمة، من جهةٍ، ولعلاقتهما الشَّديدة بالفلسفة الرِّواقيَّة، من جهةٍ أخرى.

1.2 "التَّصنيف الهرمي ***La classification pyramide***"

يَضُمُّ هذا التصنيف "القسمة الأفلاطونيَّة *La division platonicienne*" و"القسمة الأرسطيَّة *La division aristotélicienne*" للفلسفة. فأمَّا الشَّطر الأوَّل من التَّصنيف الهرمي، يَخصُّ القسمة الأفلاطونيَّة، حيث عزَا "**شيشرون**" اختراع القسمة إلى "**أفلاطون**" وسيقتفي أثره مَنْ سيأتي بعدَهُ، ولكن من المُحتمل، يقول "**سكيتوس امبريقوس** ***Sextus Empiricus***"، أن ترتدَّ القسمة إلى "**زينوقراط** ***Xénocrate***" وَحدَهُ، حتَّى وإنَّ كان "**سكيتوس امبريقوس**" قد سلَّم بأسبقيَّة "**أفلاطون**" في التَّمهيد لهذه المسألة[1]. يُفهم من النصَّين، أنَّ القسمةَ وليدة "الوسط الأفلاطوني *Le milieu platonicien*"، كما يرى "**بيير هادو**"، فقد ارتبطَ ظهورها بالتَّفكير حول المنهج العلمي وحول ضرورة إدراج تصنيفات للعلوم ولأقسامها؛ فبالرجوع إلى كتاب " الجمهورية" لِـ "**أفلاطون**" نجدهُ يُقابل منهج الرياضيات بالمنهج الجدلي، لإظهار التَّوافق بين الأنواع المُختلفة المُدرجة في الرياضيات بتلك المُدرجة بعلم الجدل أو الفلسفة[2]. فهو على لسان "**أرسطو**" يساوي بينَ حدين: "الفيلسوف" و"الرياضي"، ويوضِّح "**أرسطو**" هذه المساواة في قوله: «فهناك أجزاء متعددة من الفلسفة بتعدد أنواع الجوهر ومن ثم فلابد أن يكون بينها بالضرورة فلسفة أولى، ثم فلسفة أخرى تتبعها. ذلك لأن الوجود ينقسم في الحال إلى أجناس، يقابلها أيضاً علوم تدرس هذه الأجناس. "فالفيلسوف" يشبه عالم الرياضة من حيث أن للرياضة أيضاً أجناساً، وفيها علم أول وعلم ثان، وعلوم أخرى تتبعها تقع داخل مجال الرياضيات»[3]. أي أنَّ حدَّ "الرياضي *Mathématicien*" يُمكنُ أن يمثِّلَ شخصاً يمارسُ الحسابَ، أو الهندسة، أو علمَ

---

[1] **Lausanne**, **Ada Neschke-Hentschke** & **Alexandre Etienne**, Images de Platon et lectures de ses œuvres, Les interprétations de Platon à travers les siècles, édition Peeters, Louvain- Paris, 1997, p.22.

[2] **Hadot**, **Pierre**, Les divisions des parties de la philosophie dans l'antiquité, p. 202.

[3] **أرسطو**، نصوص من كتاب ميتافيزيقا أرسطو، الكتاب الرابع، المقالة الرابعة، مقالة "الجما"، الفقرة الثانية، a 1004، تر: إمام عبد الفتاح إمام، نهضة مصر، مصر، ط1، 2005، ص 316.

الفلك، وبالطريقة نفسها، نَجدُ حدَّ "الفيلسوف *Philosophe*" يمكنُ أن يكون شخصاً يشتغلُ بـ: الطبيعةِ، أو الأخلاقِ، أو الإلهيات[1].

يُفهمُ من هذه المقابلة، أنَّ قسمة الفلسفة لدَى "**أفلاطون**" اقتفت أثرَ قسمة الرياضيات، لِمَا يحملهُ علم الرياضيات من مكانٍ مُميَّزٍ في نظرية المعرفة الأفلاطونيَّة. بيدَ أنَّ –كما يرى "**وولتر ستيس**"- فِكرَ "**أفلاطون**" المذهبي المُتماسك لم يُعبرْ عنهُ بشكل مذهبي مُتماسك[2]، فجاءت أفكارهُ متناثرةً انعدمت فيها النَّسقيَّة والعلاقات المنطقيَّة بين أجزاء القسمة، إذ يقول «وهو [=أفلاطون] نفسه لم يقدم لنا أي مبدأ واحد ومؤكد للتقسيم، بل المبدأ المعتقد عادة ما يقسم فلسفته إلى الجدل والفيزياء والأخلاق. أن الجدل أو نظرية المثل هي مذهب أفلاطون في طبيعة الحقيقة المطلقة. والفيزياء هي نظرية الوجود الظاهري في الزمان والمكان وعلى هذا تضم مذهب النفس وهجراتها حيث أن هذه الهجرات تحدث في الزمن. وتشمل الأخلاق والسياسة، أي نظرية واجب الإنسان باعتباره مواطناً وكذلك أخلاق الفرد. وهناك أقسام محددة في المذهب المتعلقة بعقيدة الحب مثلا لا تقع في أي من هذه الأقسام»[3].

إذاً، لم يرقَ تقسيمُ "**أفلاطون**" للفلسفة إلى حقيقة القسمة مَعنىً ومَقصداً، وما وصلنا إليه من نتيجةٍ يعزّزهُ تصريح "**سكيتوس امبريقوس**" الذي نقلهُ الأستاذ "**جون بابتيست قوغينا**"، حيث يقولُ فيه: افتراضيًّا *Virtuellement*، يُعدُّ "**أفلاطون**" مُمَهداً لهذه القسمة الثلاثيَّة؛ إلى حَدّ أنَّه ناقشَ العديد من أسئلة الطبيعة والأخلاق، وعدد لا يستهان بهِ من أسئلة المنطق[4]. بيدَ أنَّ "**بابتيست قوغينا**" أردفَ مُعقباً على تَّصريحِ "**سكيتوس**"، قائِلاً: القول بافتراضيَّة مبادرة "***أفلاطون***" في التَّقسيم الثلاثي، هو القول كأنَّه لمْ يكنْ فِعلاً رائداً ومُمهداً لهذا التَّقسيم، ما قدَّمهُ "**سكيتوس امبريقوس**" –يقول "**ج. ب. قوغينا**"– مُجرد "تأويل استذكاري *Interprétation rétrospective*"، فقد كان

---

[1] **Hadot**, **Pierre**, Les divisions des parties de la philosophie dans l'antiquité, p. 202.

[2] **ستيس**، **وولتر**، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2005، ص 153.

[3] **ستيس**، **وولتر**، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص 153.

[4] **Gourinat**, **Jean-Baptiste**, La Dialectique des Stoïciens, Librairie Philosophique J.Vrin, Paris, 2000, p. 22.

يعتقد أنَّ ما تحدث عنه " **أفلاطون**" يُمكن أن يُدرج في التَّصنيفات السَّابقة، غير أنَّ "**أفلاطون**" في حدِّ ذاتِه لم يستعملْ تلك التَّصنيفات[1].

يُفهمُ مِن نقدِ "**وولتر ستيس**" للقسمة الأفلاطونيَّة، ومِن تصريح "**امبريقوس**" وتعقيبِ "**بابتيست قوغينا**" عليه، أنَّ "افتراضيَّة القسمة الثلاثيَّة للفلسفة *La virtualité de la division tripartite de la philosophie*" هي القول بعدم القسمة، إذ أنَّ لفظ "الافتراضيَّة" وما يَحملهُ من دلالة يَمنحُ لِ "**أفلاطون**" أسبقيَّة التَّقسيم في القوة لا في الفعل.

بَقيَ لنَا أن نفحصَ الشَّطر الثاني من التَّصنيف الهرمي، فتقسيم "**أرسطو**" للفلسفة، يصفُهُ "**بيير هادو**" بأنَّه الأنموذج الأفضل في التَّصنيف الأوَّل، لأنَّ قسمة العلوم التي يقترحها "**أرسطو**" في كتابه "الميتافيزيقا" تَظهر على شكل هرم مفاهيمي، تتقابل فيه أقسام العلوم النظريَّة بالعلوم العمليَّة[2]، وهذا باعتبار خصوصية موضوع كلّ علمٍ وكلّ قسم من أقسام تلك العلوم.

ولتوضيح أقسام القسمة أكثر، نُوردُ نصًا لِ "**يوسف كرم**" يُوضِّح فيه القسمة، فهو يقول: «فالعلم عنده [=أرسطو] ينقسم أولاً إلى نظري وعملي بحسب الغاية التي ينتهي إليها»[3]. وهذه الغاية التي تحدثَ عنها "**يوسف كرم**" تُوافق مَا وصفهُ "**بيير هادو**" بِـ "نوعية الموضوع *La spécificité de l'objet*"[4]. بمعنى، أنَّ ترتيب العلوم في القسمة يتماشى وترتيب طبيعة الموضوع وخصوصيته في القسمة، وهذه الخصوصيَّة إمَّا أن تكون مُستقلَّة عنَّا أو لهَا علاقة بنَا؛ فإن كانت الأولى، فهي تعني "العلم النَّظري *Science théorétique*"، الذي: «ينتهي إلى مجرد المعرفة ويقع على الوجود فينظر فيه من ثلاث جهات: من حيث هو متحرك ومحسوس وهذا هو العلم الطبيعي، ومن حيث مقدار وعدد وهذا هو العلم الرياضي، ومن حيث هو وجود بالإطلاق وهذا هو ما بعد الطبيعة»[5]. وإن كانت الأخرى، فهي تعنِي "العلم العملي *Science pratique*"، حيث المعرفة فِيه «ترمي إلى غاية متمايزة منها، وهذه الغاية هي تدبير الأفعال الإنسانية وذلك

---

[1] **Ibid.**, p. 22.

[2] **Hadot**, **Pierre**, Les divisions des parties de la philosophie dans l'antiquité, p. 202.

[3] **كرم**، **يوسف**، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د(ط)، 1936، ص 150.

[4] **Hadot**, **Pierre**, Les divisions des parties de la philosophie dans l'antiquité, p. 201.

[5] **كرم**، **يوسف**، **المرجع السّابق**، ص 150.

إما في نفسها وهذا هو العلم العملي بمعناه المحدود، وإما بالنسبة إلى موضوع يؤلّف ويصنع وهذا هو الفن [ويسمى هذا القسم بـ: العلوم الشِّعريَّة *Sciences poétiques* الذي هو قسمٌ من العلوم العمليَّة]. والعلم العملي يدبر أفعال الإنسان من ثلاث نواح: في شخصه وهو الأخلاق، وفي الأسرة وهو تدبير المنزل، وفي الدولة وهو السياسة. والفن يدبر أفعال المخيلة»[1].

هذا التَّقسيم الذي أوردهُ "**يوسف كرم**" يوضِّحُهُ "**ج. ب. قوغينا**" من مُؤَلف "الميتافيزيقا" لِـ"**أرسطو**"، فهو يرى أنَّ "**أرسطو**" انطلاقاً من تفرقتهِ بينَ العلوم النظريَّة والعمليَّة المُؤَسَّسة على نشاط العقل الإنساني، فقد توصَّل إلى التَّمييز بينَ ثلاثة أنشطة، وهي: النشاط النظري (*L'activité théorique*)، النشاط العملي (*L'activité pratique*) والنشاط الإنتاجي (*L'activité productrice*)[2]، وكل نشاط من الأنشطة الفكريَّة السَّابقة يقابلُ عِلماً، وهي على التَّوالي: العلوم النظريَّة، والعلوم العمليَّة، والعلوم المُنتجة.

انطلاقًا مِمَّا أوردناهُ واعتباراً بالطابع الهرمي للقسمة لدى "**أرسطو**" نقترحُ في وضع خطاطة تتماشى والوصف الأرسطي السَّابق:

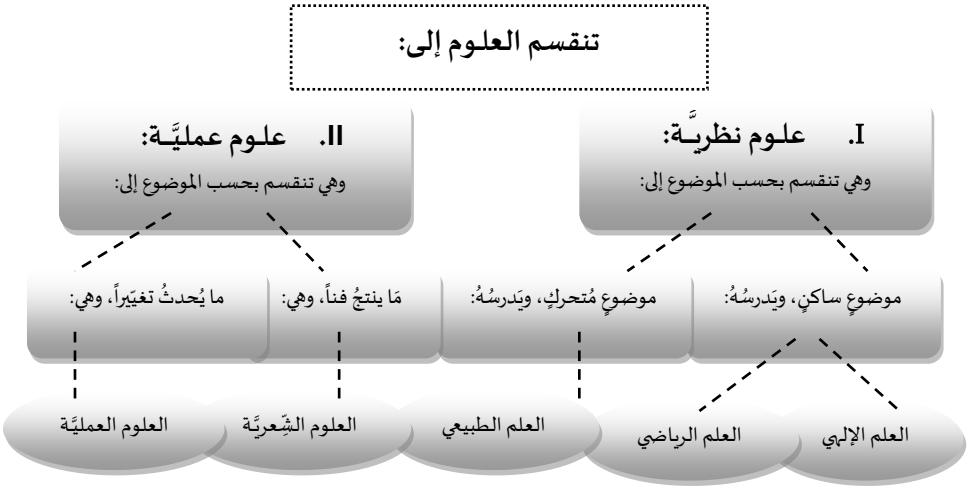

[1] **المرجع نفسه**، ص 150.

[2] **Gourinat**, **Jean-Baptiste**, La Dialectique des Stoïciens, p. 22.

قسمةُ العلوم تمَّت بحسبِ نوعيَّة الموضوع

La division des sciences est établie d'après la spécificité de l'objet

عَطفاً على التَّقسيم الوارد في كتاب "الميتافيزيقا"، فإنَّنَا نعثرُ على نصٍّ آخر لِـ "**أرسطو**" في كتاب " الجدل *Topique*" تحدَّثَ فيه عن القسمة في إطارِ كلامهِ عن كيفية اختيار المقدّمات، فهو يقول: «وقد توجد أجناسُ المسائل والمقدّمات إذا حصّلناها على طريق الرسم ثلاثة: وذلك أن منها مقدّمات خُلُقية، ومنا مقدّمات طبيعية، ومنها مقدّمات منطقية. فالخُلُقية مثل قولنا: لِمن أولى أن نطيع: لآبائنا، أو للنواميس، متى اختلفنا؟ والمنطقية مثل قولنا: هل العلم بالمتضادّات واحدٌ بعينه، أو لا؟ والطبيعية مثل قولنا: هل العالم أزلي، أم لا؟ وكذلك يجري الأمر في المسائل»[1].

لكن، هل التَّصنيف الأرسطي للفلسفة في "الميتافيزيقا *Métaphasique*" و"الجدل *Topique*" أجَابَا عن مرجعية القسمة لدَى الرِّواقيَّة؟ وهل التَّصنيف عندهُ عبَّر عن معنَى ومقصدِ القسمة؟

من جهةٍ، "**بلوتارخوس**" –كما نقلَ عنهُ "**ج. ب. قوغينا**"-يرى أنَّ "**أرسطو**" و"**ثيوفراطس *Théophraste***" وغالبيَّة المشَّائِين قدَّموا قسمةً للفلسفة، ولكن يستدرك "**ج. ب. قوغينا**"، إذ يرى أنَّ مؤلفات "**أرسطو**" لم تحملْ أثراً للقسمة[2]، بدليل التَّصنيف الوارد في كتاب "الميتافيزيقا" والذي فيه قسَّم العلوم إلى: علوم نظريَّة وأخرى عمليَّة، فَ "**أرسطو**" لم يتركْ مكاناً للمنطق إذ أخرجهُ من الفلسفة واعتبره «آلة العلم»[3]، فصَار المنطقُ عِلماً إنتاجيًّا (*Science productrice*) يتوسَّلُ بِه في سائر العلوم النظريَّة والعمليَّة لإدراكِ الحقِّ وتوقِي الزَّلل والغَلط. وكأنَّ كتابات "**أرسطو**" الفلسفيَّة تُصنَّفُ إلى ثلاثة أنواع: كتابات في الفلسفة النظريَّة *Ecrits de philosophie théorétique*؛ وكتابات في الفلسفة العمليَّة *Ecrits de philosophie pratique*؛ وكتابات في علوم الآلة *Ecrits instrumentaux*، والمعرُوفة باسم "الأورغانون *Organon*".

---

[1] **أرسطو**، النص الكامل لمنطق أرسطو، كتاب الجدل، مجلد 2، تحق: فريد جبر، مراجعة: جيرار جيهامي & رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت (لبنان)، ط1، 1999، ص 659.

[2] **Gourinat**, **Jean-Baptiste**, La Dialectique des Stoïciens, p.22.

[3] **تريكو، جيل**، المنطق الصوري، تر: محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون (الجزائر)، د (ط. ت)، ص 21.

أمَّا مَا يخصُّ نص كتاب "الجدل"، فالظاهر من النَّص ليس قسمة الفلسفة، بل قسمة المسائل والمقدّمات وهي لا تمت بصلةٍ إلى البحثِ عن أقسام الفلسفة، وهذا مَا قصدهُ "**بيير هادو**"، حِينَ قالَ: على الرغم ممَّا قد يبدُو من تقسيم المقدمات إلى ثلاثة أجزاء، إلاَّ أنَّ النصَّ لا يُومِئُ إلى قسمةٍ حقيقيَّةٍ للفلسفة[1]، لأنَّ الكتابَ أصلاً، يبحثُ في القياس الجدلي، وهذا النوع من القياس يُؤسِّس نفسه على ضوء تحديد المقدمات التي منها يَحصلُ القياس الجدلي *Le syllogisme dialectique*.

انطلاقاً من هذه المُسوّغات، اعتبرَ "**بابتيست قوغينا**" قسمةَ "**أرسطو**" و"**المشَّائيّين**" للفلسفةِ قِسمةً "تَراتُبِيَّةً *Hiérarchique*" وليست قسمةً "نسقيَّةً *Systématique*"[2]، لأنَّ الغايةَ من التَّصنيف الأرسطي للعلوم هي البحث عن تعريف للعلم الأعلى على أساس خصوصية الموضوع ونوعيته، وكانت "الفلسفة الأولى" أو "فلسفة ما بعد الطبيعة" أو مَا يُعرفُ بـ "العلم الإلهي" هي مبتغاه من اتِّباعهِ لمنهج القسمة.

لِذَا، جاء تصنيفُه تَراتبيًّا على صيغةٍ هرميَّةٍ، وهو ما عبَّر عنه "**طاش كبرى زادة**" بعبارة بـ "علم تقاسيم العلوم"[3] إذ يَحدُّه، بأنَّهُ: «علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها، ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم. ولما كان أعم العلوم موضوعاً العلم الإلهي جعل تقسيم العلوم من فروعه»[4].

وأمامَ عدم استقرار روايات "**سكيتوس امبريقوس**" و"**بلوتارخوس**" وغموض بعض نصُوصِها حول مرجعيَّة التَّقسيم، يتبيَّن لنَا: من جهةٍ، عدم صدق تلك النصوص المُتحدثة عن استنساخ التَّقسيم الأفلاطوني والأرسطي، ومن جهة أخرى، عدم أصالة التَّقسيم لدَى الرِّواقيَّة، خاصة أنَّ المدارس الهللينستيَّة شَاعَ فيها تقسِيم الفلسفة ولكن بكيفيات مُختلفة وبمقاصد مُتباينة[5]. هذا مُؤشرٌ كافٍ –في اعتقاد "**ج.ب.**

---

[1] **Hadot**, **Pierre**, Les divisions des parties de la philosophie dans l'antiquité, p.207.

[2] **Gourinat**, **Jean-Baptiste**, La Dialectique des Stoïciens, p.23.

[3] **ابن مصطفى، أحمد**، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985، ص 300.

[4] **المرجع نفسه**، ص 300.

[5] **Muller, Robert**, Les stoïciens, La liberté et l'ordre du monde, Librairie Philosophique J. Vrin, Paris, 2006. p. 53.

قوغينا"– لأنْ تكون الرّواقيَّة المدرسة الأولى التي أعطت أهميةً بالغةً للقِسمةِ[1]، لا من جهةِ، تقسِيم الفلسفة إلى أجزاءٍ فحسب -لطالما أنَّه تقسِيمٌ تقليديٌّ دأبَت عليه المدارس الهللينستيَّة-، بل قدرة أصحاب الرّواق على تَوْصِيلِ أقسامِها الثلاثة ببعضِها البعض؛ فلا يُدْرَك الجزءُ إلاَّ بمعيَّة الجزأينِ المُتبقيَينِ، ولاَ يكتسب معناه الخاص إلاَّ مُدمجاً في مستوى معنَى الجزء المُرافق لَهُ. فاندماجيَّة الأجزاء الثلاثة *L'intégrative des trois parties* للفلسفة الرّواقية فرضَت نسَقًا فلسفيًّا *Système philosophique*، هو بدورهِ فرضَ "وَحدة عضويَّة *Unité organique*" مُتلاحمة البِناءِ مُنسجِمة الإنشاءِ، لا يستقلُّ فِيها جزءٌ عمَّا سبقهُ ولحقهُ. وبهذا، صارَ انسجامُ الفلسفةِ الرّواقيةِ شَبِيهًا بالكائن الحي *(L'être vivant)* الذي يستمدُّ وجُوده من التَّكامل الوظيفي لأعضائه.

2.2 "التَّصنيف النَّسقي *La classification systématique*":

أمَّا هذا النوع من التصنيف، فيضمُّ القسمة الرّواقيَّة للفلسفة، وهي قسمةٌ تختلفُ عن الأفلاطونيَّة والأرسطيَّة على حدٍّ سواء، من جهة البِنيَّة المنطقيَّة التي شكَّلت القسمة، وكذا، من جهة محتوى تلك البِنيَّة.

بَدْءاً بالمحتوى، يصرّحُ "**بيير هادو**" أنَّه لا يوجد قبلَ الرّواقيّين أيّ نصٍّ أو عنوان مُؤلَّفٍ أفلاطونيٍّ أو أرسطيٍّ يَشهدُ على استعمال لفظ "المنطق *Logique*" للدَّلالة على جزئيته في الفلسفة[2]. باعتبار، أنَّ القسمة الأفلاطونيَّة وظَّفت "الجدل *Dialectique*" لفظاً ومنهجاً؛ فمن جهة اللفظ، فقد حلَّ "الجدلُ" محلَّ "المنطق" في القسمة، فصارت تُعرفُ في الأكاديميَّة الأفلاطونيَّة بثلاثيَّة، وهي: الجدل، والطبيعة، والأخلاق. أمَّا من جهة المنهج، فقد استُخْدِمَ الجدلُ أداةً لارتفاع العقل من المحسوس إلى المعقول، واجتياز جميع مراتب الوجود وصولاً إلى المعاني الكليَّة[3] والمبادئ العامة المُؤسِّسة لحقائق الأشياء الثابتة الدائمة.

أمَّا عن "**أرسطو**"، فمسألة، إنْ كانَ: "المنطقُ جُزءاً أو آلةً للفلسفة" لم تُطرحْ أصلاً، لأنَّه لم يُوظِّفْ على الإطلاق لفظ "المنطق" للتَّعبير عمَّا قصدهُ شرَّاحُهُ من بعدهِ، وإنَّما تحدَّثَ من جهةٍ، عن "الجدل/ الديالقطيقية *Dialectique*" في مقابل حديثهِ عن

---

[1] **Gourinat**, **Jean-Baptiste**, La Dialectique des Stoïciens, p. 23.

[2] **Hadot**, **Pierre**, Les divisions des parties de la philosophie dans l'antiquité, p.207.

[3] **كرم**، **يوسف**، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 84.

"الخطابة / الريطورية *Rhétorique*"، ومن جهةٍ أخرى، استعملَ لفظ "التَّحليل/ الأنالوطيقي *Analytique* "، دُون أن يكون قد جمعَ "الجدل" و"الخطابة" في جنس "المنطق"[1]، وعدم إدراجه للفظ "المنطق" في القسمة وهو يُؤسِّس لسلامة الفكر من الزيغ، يُفيدُ أنَّه من وَضعِ تلامذته وكان ذلك في عهدِ الشَّارح "**أندرنيقوس الروديسي *Andronicos de Rhodes***"[2]، حيث جُمعَت مُصنَّفات "**أرسطو**" المنطقيَّة تحتَ اسم "الأورغانون /Organon *Instrument*"[3].

نَخلصُ مبدئيًّا، أنَّ الرِّواقيِّين هم الأوائل الذين وَظَّفوا لفظ "المنطق" للتَّعبير عن جزئيتهِ في الفلسفة. غير أنَّ قسمة الفلسفة إلى أجزاءٍ، قد تُثيرُ التباسات لِمَا يلزمُ عن حدِّ: "جزء Partie" مِن " تجزئة Fragmentation "، قد تَجعلُ قسمة الفلسفة الرِّواقيَّة " لا نسقيَّة *Non systématique*".

ولكن، هذه المخَاوف يُبدِّدها نصَّان؛ **الأوَّل** لِـ "**أرسطو**" حِينَ أطلقَ مصطلح الجزء «على ما يمكن أن تنقسم إليه أية كمية بأية طريقة. فما يؤخذ من الكمية، من حيث هي كمية يسمى دائماً جزءاً منها وهكذا يقال عن العدد اثنين: إنه، بمعنى جزء من العدد ثلاثة»[4]. فالجزء لا ينفصل عن الكلِّ، بل الكلّ لا يستمد وجود دُون الجزء، كما هو الحال بالنسبة إلى العدد "الثلاثة". أمَّا **النَّص الآخر**، يعود إلى "**ديوجين اللايرسي**"، حِينَ قال: «ولا جُزء يُفاضلُ الآخر، مِثلمَا يُقِرُّ بعضُهم، بل إنَّهم [=أصحاب الرِّواق] يَرَونَ الأجزاء مُوَحدَةً فِيما بينَهَا، فيشتركون في تعلِيمِها ونقلِهَا للآخرين دُفعةً واحدةً»[5].

إذن، تقسيم الفلسفة إلى ثلاثة أجزاء، يُعدُّ تقسيماً إجرائيًّا فحسب يُوضِّح موضوع البحث في كلّ قسم، أمَّا على الصَّعيد العملي، فَ «منزلة المنطق في الفلسفة الرواقية، تعد أساسية، فهو بمثابة الأداة التي تساعد الحكيم الرّواقي على فهم القوانين

---

[1] **Simplicius**, Commentaire Sur Les Catégories: Traduction Commentée Sous la direction de Ilsetraut Hadot, printed in the Netherlands, by E. J. Brill, 1989, p. 183.

[2] **بدوي، عبد الرحمن**، المنطق الصوري والرياضي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط5، 1981، ص 03.

[3] **Hottois**, **Gilbert**, Penser la logique : Une introduction technique, théorique et philosophique à la logique formelle, De Boeck – Wesmael, Bruxelles, 1e édition, 1994, p. 30.

[4] **أرسطو**، نصوص من كتاب ميتافيزيقا أرسطو، الكتاب الخامس، مقالة "الدال" أو "الدلتا"، الفصل الخامس والعشرون، الفقرة الأولى/15، ص 316.

[5] **Diogène**, **Laërce**, Vies et doctrines des Stoïciens, 40.

الطبيعية وعلى تحديد السلوك سواء أكان خيرا أو شرا. وإذا كان المنطق لا يسمح للإنسان أن يصبح فاضلا إذا لم يرتبط بالجزأين (الطبيعة والأخلاق) بغية التوافق مع العقل ومع العالم»[1]. فالتَّلاحم والانسجام بينَ أجزاء القول الفلسفي الرِّواقي، يجعلنا نتحدث عن "نسق *Système*" يربطُ أواصر الفلسفة لدى الرِّواقيِّين.

وهذا ما يقودنا إلى تبني مصطلح "القول الفلسفي الرِّواقي" وليس "الفلسفة الرِّواقيَّة" في سياق حديثنا عن القسمة، ويُعدُّ هذا التَّميِّز بين العبارتين إجابةً عن إشكالية "**زينون الطرسوسي *Zénon de Tarse***" لمَّا اعترضَ على الوظيفة النَّسقيَّة للتَّقسيم في القول الفلسفي، فحسبَ نظره، لا يغدُو التَّقسيم نسقاً، بل مجرد تجزئة لا غير.

لذا، لنَا أن نتساءل عن مكانة ومنزلة المنطق في النظام الفلسفي الرِّواقي، وما طبيعة العلاقة الموجودة بين: المنطق والأخلاق؛ المنطق والطبيعة؟

تُحيلنا نصوص لِـ "**ديوجين اللايرسي**" إلى المقارنة التي ضربها الرِّواقيون للفلسفة ولأجزائها، إذ يقول: يقارن الرِّواقيُون الفلسفةَ؛ تارةً، بأنَّها حيوانٌ: المنطق عظامه وأعصابهُ، والأخلاق لحمهُ، والفيزياء رُوحهُ؛ وتارةً، بأنَّها بيضةٌ: قشرتُها المنطق، وبياضها يمثلُ الأخلاق، وصفارهَا الذي هو المركز يمثِّلُ الفيزياء؛ وتارةً أخرى، بأنَّها حقلٌ خَصبٌ: المنطق سُورهُ، والأخلاق ثمارهُ، والفيزياء أرضهُ أو أشجارهُ؛ كمَا شبَّهوها أيضاً، بمدينةٍ شديدة التَّحصين يحكمها العقل[2].

ماذا يمكن أن نستنتج من القول؟

بدايةً، نُلخص مضمونَ نص "**ديوجين اللايرسي**" في جدولٍ، ثمَّ ندرس وضعية المنطق على ضوء التَّشبيهات التي حملها المتن، من جهة: التَّرتيب *L'ordre*، والدور *Le rôle*، والأهميَّة *L'importance*.

الفلسفة	المنطق	الفيزياء	الأخلاق
حيوان (animal)	عظام وأعصاب os+tendons	رُوح âme	لَحم chair

[1] **محمد وادفل** (تأثير المنطق الرِّواقي في علم الكلام)، رسالة دكتوراه العلوم، تحت إشراف: أد. جمال مفرج، قسم الفلسفة، كليَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، جامعة الجزائر -2-، بوزريعة، سنة 2012، ص 23.

[2] **Diogène**, **Laërce**, Vies et doctrines des Stoïciens, p. 40.

بيضة (œuf)	قشرة coquille	صفار jaune	بياض blanc
حَقل (champ)	سور/ سياج clôture	أرض أو أشجار terre ou arbres	ثمار fruits
مدينة (ville)[1]	جدار murs	مواطنون citoyens	القوانين والآداب العامة lois et mœurs

إذا أخذنا بعين الاعتبار قيمة المباحث الأخلاقيَّة التي خصَّ الرِّواقيون فلسفتهم، وأمعنَّا في الوقت ذاته ما حمله نصّ "**ديوجين اللايرسي**" مِن معانٍ، فإنَّنا نرى حظَّ الأخلاق من التَّشبيه جاء ضئيلاً؛ فقد جاءَ المُشبَّهُ بهِ تارةً "لحماً" إذا اعتبرنا الفلسفة حيواناً، و"بياضاً" إذا اعتبرنا الفلسفة بيضةً، وتارةً "ثماراً" إذا اعتبرنا الفلسفة حقلاً، لكن ما نالته الأخلاق من التَّشبيهات لا يُمثِّلُ حقيقة الفلسفة الرِّواقيَّة، إذ أنَّها فلسفة انصرفت نحوَ الأخلاق في عموم مصنَّفات أصحابها، فكانت أكثر نصيباً من التَّدوين والإشادة بتعاليم الحكيم، وأكثر من ذلك، عندما اختزلت معاني الفلسفة عندهم في ممارسة الفضيلة. فلا ضير إذاً، أن نشبِّهَ الأخلاق بـ "الرُّوح" إذا اعتبرنا الفلسفة حيواناً، وبـ"الصَّفار" إذا اعتبرنا الفلسفة بيضةً.

أمَّا مسألة التَّرتيب، لم يمنعْ بعضهم من تصدير المنطق على الفيزياء لتلِيهِ الأخلاق في المرتبة الثالثة، مثلمَا فَعلَ "**زينون**" في كتابهِ "عن العقل" وحذا حذوه "**كريسيب الصُولي**"، وكذا "**أرخيدام** ***Archédème***" و"**أودروموس** ***Eudrome***"، في حِين يبدأ "**ديوجين البطليموسي** ***Diogène de Ptolémaïs***" بالأخلاق، بينمَا يضعُها "**أبولودور** ***Apollodore***" في المرتبة الثانية، على حِين، يبدأُ كلٌّ من "**بانيسيوس**" و"**بوزيدونيوس**" بالفيزياء، حسبَمَا صرَّحَ بهِ "**فانياس** ***Phainias***" –تلميذ "**بوزيدونيوس**"– في كتابه الأوَّل لمُؤَلَّفِهِ "دروس بوزيدونيوس ***Cours de Posidonios***"[2].

وأمام هذا التَّباين في تَرتيب أجزاء الفلسفة، إلاَّ أنَّ الرِّواقيِّين يُؤكدُون على تماسك الأجزاء ووحدَتِها، فلا معنَى لجزءٍ إلاَّ بقدر تآلفه مع غيره. غيرَ أنَّه شذَّ عن هذا القولِ،

[1] **Voir** : **Christian**, **Godin**, La Totalité, tome 3 La philosophie, édition Champ Vallon, 2000, p. 31.

[2] **Diogène**, **Laërce**, Vies et doctrines des Stoïciens, p. 41.

"**أرسون الخيوني *Ariston de Chio***"* الذي رفضَ –كما يروي لنَا "**ديوجين اللايرسي**"– الفيزياء والمنطق وجَهرَ بازدرائِهمَا بحجةِ أنَّه يتعذَّر على العقل تصوُّرهما على الوجهِ السَّليمِ، فضلاً عن عدم نفعيتِهما، أمَّا الجزء المُتبقى، وهو الأخلاق، فهو الوحِيد الذي يحتفظ به لأهميَّتِه[1]، وليس كلُّ الأخلاقِ –يقول "**ج.ب. قوغينا**"-، فهناك "الموعظة *Exhortation*" و"التَّوبيخ *Admonestation*" تمَّ إقصاؤهما[2] من المسائل الأخلاقيَّة. وللتَّفصيل أكثر؛ جاءَ تفنِيدُ "**أرستون**" للطبيعيات مُثلَّثِ العِلَلِ: فهي غير يقينيَّة لنسبيَّةِ نتائج النقاشات الدَّائرة بين الطبيعيِّين حولَ حجمِ الكونِ، كمَا أنَّها غير نفعيَّة لأنَّنَا حتَّى ولَوْ عرفنَاها، فهي لا تفضي إلى أيَّة فضِيلة، وعلاوة على ذلك، فالبحث فِيها ينفِي وجُود الآلهة أو يتمّ تعويضها بتجريدات مِثل، اللامتناهي أو الواحد[3]. أمَّا عن نقضِهِ للمنطق، فهو يشبِّهُ التَّدليل الجدلي بنسيج العنكبوت الذي لا طائلَ منهُ، على الرَّغم مِمَّا تُظهرهُ العنكبوت مِن تمكِينٍ تقنيّ كبيرٍ[4]. وحسْبَهُ يقولُ، إنَّ الجدلَ فَنٌ، لكنَّهُ يعُوقُ قدراتنا الذهنيَّة، والطبيعة تُثقِلُ على العقلِ فهمهَا لعسرِ مواضِيعهَا، فهُمَا غير مُؤهلَيْنِ لتحقِيقِ الفضيلة.

لكن، لماذا الاحتفاظ بالأخلاق فقط؟ الظَّاهر أنَّ "**أرستون**" يُولِي اهتماماً بالشُّؤون البشريَّة لإصلاح ما فسد في أنفسهم، فالخير الأعظم عنده يكمنُ في الفضيلة كحدٍّ كُلِيٍّ، بمعنى، «لا وجود إلا لفضيلة واحدة، هي العلم (*Epistème*) بالأشياء الصالحة والطالحة. وعندما نسمي كثرة من الفضائل، مثل العفة والحصافة والشجاعة والعدالة، لا نتكلم في الواقع إلا عن فضيلة واحدة»[5]، فهو لا يريدُ من الأخلاقِ أن تهتمَّ بالمسائل الجزئيَّة، لأنَّ تجزِئة الفضيلة إلى فضائل تكادُ لا تنتهي، فضلاً على أنَّهَا تُخرِجُ الأخلاقَ عن مَقصدِها الحقيقي والمُتمثِّلُ في تحدِيدِ ماهية الخير والشرِّ تحدِيداً صُورِيًّا.

---

* فيلسوف يوناني من "خيوس"، أسَّسَ فرعاً مستقلاً عن المدرسة الرِّواقيّة، توفي سنة 250 ق م. الموسوعة العربيّة المُيسرة، المجلد الأوّل، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2010، ص 246.

[1] **Diogène**, **Laërce**, Vies et doctrines des Stoïciens, p. 160.

[2] **Gourinat**, **Jean-Baptiste**, La Dialectique des Stoïciens, p.24.

[3] **Bréhier**, **Emile**, Histoire de la philosophie, Tome2, période hellénistique et romaine, édition Cérès, 1994.pp. 133.

[4] **Diogène**, **Laërce**, Vies et doctrines des Stoïciens, p. 161.

[5] **إميل، برهييه**، تاريخ الفلسفة، الجزء الثاني (الفلسفة الهلنستية والرومانية)، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1988، ، ص 144.

وكأنَّ "**أرسطون**" يُنكِرُ على "**سِينكا**" قيامهِ بتوجِيهِ مجموعة نصائح عمليَّة ضمنتها "رسائل أخلاقيَّة *Lettres à Lucilius*" مُفصَّلة إلى صديقه الشَّاعر "**لوكيلليوس *Lucilius***" -الذي في مَا يبدُو أنَّه لم يحسن التعامل الصحيح مع عبيدهِ-. ما جعل "**أرسطون**" في النهاية لا يَعتقِدُ إلاَّ بِـ "وحدة الفضيلة *L'unité de la vertu*"، أمَّا ما تعلَّقَ بها من تفصِيلات جُزئيَّة فلا يُلقِي لها اهتمامًا أو بالأحرى، لا يُبالي بها، ومن هنا ظهرت عند "**أرسطون**" فكرة "اللامبالاة *L'Indifférence*"[1].

فالفضيلةُ عندهُ لا تكون إلاَّ واحدة، وما نشاهده من تعدُّد في الفضائل، هو أشبهُ بالإبصار المُتعدِّد الذي يكون بحسب الظروف، مع بقائهِ إبصاراً واحداً مُطابقًا لذاتِهِ[2]، والمغزى –على ما يبدُو– من اشتغالِ الأخلاق بالمبادئ الكليَّة وانصرافِها عن تحديد الصِّفات الخاصة لكلِّ فضيلةٍ، هو سَعْي "**أرسطون**" لدحضِ "نظريَّة المفضُولات *La Théorie de préférables*"[3]، فلا وسيط بين فضيلة وأخرى أو رذيلة وما جاورها، فليس للفضيلةِ والرذيلةِ سُلمٌ تصنفان عليه.

بالنظر إلى الأجزاء الثلاثة وما أخذتهُ من تمثِيلات، نرَى المنطقَ هو الجزء الذي تعلقَ أكثر بالخارج (*Extérieur*) مُقارنة بجزئي: الطبيعة والأخلاق؛ فلمَّا شُبِّهَت الفلسفة بالبيضة، أخذَ المنطقُ مكانةَ القِشرَةِ باعتبارها صلبة تَقِي مكونات البيضة، ولمَّا مُثِّلَتِ الفلسفةُ بالحَقلِ تارةً والمدينة تارةً أخرى، كان المنطقُ بمثابة الحزام الأمني يُطوِّق مَا بداخلهِ لحمايتِه، في حِين، لَمَّا سوَّى الرِّواقيُون الفلسفةَ بالحيوان، استَوْثَقَتِ الطبيعةُ والأخلاقُ بالمنطق، فجعلاهُ وِثَاقاً يُوصِلُ ويَشدُّ إحداهما بالآخر كالبُنيَانِ، فظهرت الفلسفةُ مُتآلفةً مُوحَدةً، كما تُحكِمُ العظامُ والأعصابُ ما بينَ الجسدِ والرُّوحِ حفاظاً على وحدةِ الكائن الحي.

هكذا، هو القول الفلسفي الرواقي، فقد امتثل لما تفرضه معاني القسمة ليس فقط من تجزئة، بل أيضاً، وهو الأهم، من نسق يحكم أجزاء القسمة، فلا يُفهم جزء إلاَّ بفهم الآخر، وهذا ما أعطى الطابع العام لمفهوم النسقية للقول الفلسفي الرواقي.

قائمة الهوامش:

[1] **المرجع نفسه**، ص 145.
[2] **المرجع نفسه**، ص144.
[3] **المرجع نفسه**، ص144.

1. **أرسطو**، النص الكامل لمنطق أرسطو، كتاب الجدل، مجلد 2، تحق: فريد جبر، مراجعة: جيرار جيهامي & رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت (لبنان)، ط1، 1999.
2. ــــــــــــــ، نصوص من كتاب ميتافيزيقا أرسطو، الكتاب الرابع والخامس، تر: إمام عبد الفتاح إمام، نهضة مصر، مصر، ط1، 2005.
3. **ابن مصطفى، أحمد**، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985.
4. **إميل، برهييه**، تاريخ الفلسفة، الجزء الثاني (الفلسفة الهلنستية والرومانية)، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1988.
5. **أمين، عثمان**، الفلسفة الرّواقية، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1971.
6. **تريكو، جيل**، المنطق الصوري، تر: محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون (الجزائر)، د (ط. ت).
7. **كرم، يوسف**، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د(ط)، 1936.
8. **ستيس، وولتر**، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2005.
9. **محمد وادفل** (تأثير المنطق الرِّواقي في علم الكلام)، رسالة دكتوراه العلوم، تحت إشراف: أد. جمال مفرج، قسم الفلسفة، كليَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، جامعة الجزائر -2-، بوزريعة، سنة 2012.
10. **فضل الله، مهدي**، مدخل إلى علم المنطق (المنطق التقليدي)، دار الطليعة، بيروت، ط4، 1990.
11. **Jean-Baptiste Gourinat** & **Jonathan Barnes** Lire les Stoïciens, Introduction, Presse Universitaire de France, Paris, 2009.
12. **Diogène**, **Laërce**, Vies et doctrines des Stoïciens, Traduction: Richard Goulet, Librairie Générale Française, 2006.
13. **Long** & **Sedley,** Les philosophes hellénistiques, II Les stoïciens, Traduction par : Jacques Brunshwig & Pierre Pellegrin, GF Flammarion, Paris, 2001.
14. **Chenique, François**, Elément de logique classique, L'art de penser, de juger et de raisonner, Tome 1, Dunod, Paris, France, 1975.
15. **Hadot**, **Pierre**, Les divisions des parties de la philosophie dans l'antiquité, revue Museum Helveticum, Bibliothèque électronique suisse, vol 36, 1979.
16. **Lausanne**, **Ada Neschke-Hentschke** & **Alexandre Etienne**, Images de Platon et lectures de ses œuvres, Les interprétations de Platon à travers les siècles, édition Peeters, Louvain- Paris, 1997.

17. Gourinat, **Jean-Baptiste**, La Dialectique des Stoïciens, Librairie Philosophique J.Vrin, Paris, 2000.

18. Muller, Robert, Les stoïciens, La liberté et l'ordre du monde, Librairie Philosophique J. Vrin, Paris, 2006.

19. Simplicius, Commentaire Sur Les Catégories: Traduction Commentée Sous la direction de Ilsetraut Hadot, printed in the Netherlands, by E. J. Brill, 1989.

20. .Hottois, **Gilbert**, Penser la logique : Une introduction technique, théorique et philosophique à la logique formelle, De Boeck – Wesmael, Bruxelles, 1e édition, 1994.

21. Christian, **Godin**, La Totalité, tome 3 La philosophie, édition Champ Vallon, 2000.

22. Bréhier, **Emile**, Histoire de la philosophie, Tome2, période hellénistique et romaine, édition Cérès, 1994.